

دور الحركة الإصلاحية الجزائرية في دعم القضية الفلسطينية (1936 – 1948م)

The role of the Algerian reform movement in supporting
the Palestinian cause 1936- 1948

د. عبد الرزاق توميات

جامعة يحي فارس – المدية (الجزائر)

toumiat.abderrezak@univ-medea.dz

تاريخ القبول: 2025/06/27

تاريخ الإرسال: 2025/06/11

ملخص:

نستعرض في هذا المنجز أشكال الدعم الجزائري للقضية الفلسطينية، وقد اخترنا أن تكون الحركة الإصلاحية الجزائرية هي محور اهتمامنا، وقد تعددت أشكال ذلك الدعم الذي بدأ منذ أوائل بروز القضية بعد سماح الإنجليز لليهود باستباحة أرض فلسطين وتشكيل عصابات صهيونية قامت بالاعتداء على الفلسطينيين بدعم غربي كبير.

وكان لزاما على الدول الإسلامية مشرقا ومغربا دعم إخوانهم الفلسطينيين بمختلف الوسائل في تلك المرحلة الحالكه، ومن بين تلك الأمم نذكر الجزائر فرغم ظروفها السيئة ووقوعها تحت الاحتلال، إلا أنها انخرطت في دعم القضية الفلسطينية ماديا ومعنويا، ويجدر بنا هنا التنويه بجهود رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر صحفها وخطاباتها وبعثاتها وحملات التبرع التي نظمتها وشارك فيها الشعب الجزائري وإرسال متطوعين للمشاركة في الثورة الفلسطينية التي اندلعت عام 1936م رفضا للمؤامرات الصهيونية والغربية.

الكلمات المفتاحية: القضية الفلسطينية، الجزائر، الحركة الإصلاحية، الدعم الجزائري.

Abstract:

In this Article, we review the forms of Algerian support for the Palestinian Question, and we chose the Algerian reform movement to be the focus of our attention. The forms of this support have varied since the early emergence of the cause after the British allowed the Jews to invade the land of Palestine and form Zionist gangs that attacked the Palestinians with great Western support. It was imperative for the Islamic countries in the East and the West to support their Palestinian brothers by various means during that dark period. Among those nations, we mention Algeria, despite its poor conditions and being under colonialism, it engaged in supporting the Palestinian cause materially and morally. It is worth noting here the efforts of the men of the Algerian reform movement represented by the Association of Algerian Muslim Scholars through its newspapers, speeches, missions, and donation campaigns that it organized and in which the Algerian people participated, and sending volunteers to participate in the Palestinian revolution that broke out in 1936 in rejection of Zionist and Western conspiracies.

keywords: Palestinian Cause, Algeria, reform movement, Algerian support.

مقدمة:

كانت فلسطين ولا تزال قضية كل عربي مسلم يؤمن بأن الدفاع عن المقدسات هو فرض عين علينا، وللجزائريين على وجه الخصوص نظرة خاصة تجاه هذه القضية منذ ثلاثينيات القرن الماضي وحتى أيامنا هذه، وعبر مختلف المحطات التاريخية شهدنا تلاحماً كبيراً وموقفاً مشرفاً لا تشوبه شائبة تجاه الفلسطينيين، وفي حديثنا عن موقف الجزائريين من فلسطين اخترنا أن تكون محطة ثلاثينيات وأربعينيات القرن 20م محور دراستنا، وركزنا الاهتمام على الحركة الإصلاحية الجزائرية ورجالها الذين أبدوا مساندة واسعة رغم قلة الحيلة والوسيلة وتضييق الاستعمار الفرنسي الذي سعى لقطع الصلات والشائج بين المسلمين وإقامة الحواجز الحدودية المصطنعة عبر الإعلام، والدعم السياسي والمادي الذي لم ينقطع مطلقاً.

إن الهدف من عملنا هذا هو إثبات روح المقاومة والدفاع عن ثوابت الأمة الإسلامية من طرف الجزائريين، والشعور بوحدة المصير وتوطيد فكرة أن المشرق والمغرب الإسلاميين هما من أصل واحد وصدق الشيخ عبد الحميد بن باديس في قوله:

ونحن في الشرق والفصحى ذوو رحم ونحن في الجرح والآلام إخوان

وقبل الخوض في بعض حيثيات الموضوع سيكون منطلقنا الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي أبرز أشكال ومظاهر الدعم التي قدمتها الجزائر والحركة الإصلاحية للقضية الفلسطينية في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1936 - 1948م؟

1/ أشكال ومظاهر دعم الحركة الإصلاحية للقضية الفلسطينية:

يمكننا تمييز أشكال مختلفة من الدعم الجزائري لفلسطين سواء على الصعيد الإعلامي من خلال الصحافة التي كانت تنشر باستمرار مستجدات القضية وتعمل على تعبئة الشعب الجزائري وتعريفه بجذورها رغم بعد الشقة وتضييق الاستعمار، أو عن طريق الجهود السياسية لرجال الإصلاح من خلال المراسلات والخطابات والبعثات والوفود، وعلى الصعيد المادي من خلال جمع المال وتشكيل لجان في مختلف مناطق الجزائر للوقوف على هذا الأمر، والحث على إرسال المتطوعين إلى فلسطين لمن وجد إلى ذلك سبيلا، وسنحاول هنا إبرازها فيما يلي:

أ/ الدعم المعنوي:

نالت القضية الفلسطينية جانبا كبيرا من اهتمامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وخاصة على الصعيد الإعلامي ممثلا في الصحف التي أفردت في صفحتها لموقف الجمعية من القضية وتطوراتها، فهذا رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس نبّه لأهمية فلسطين وأطماع اليهود، فكتب قائلا: «... رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة، وقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء، ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ لا يعرفنا بفضل تلك الرحاب فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب مسجد الحرام ومسجد الطيبة ... حمى الإسلام تلك الرحاب من أيامه الأولى»⁽¹⁾.

وجّه الشيخ ابن باديس نداءً إلى الشعب الجزائري المسلم مما قال فيه: «أيها الشعب الجزائري المسلم: في هذه الظروف الدقيقة التي تجتازها فلسطين العربية وفي هذا الصراع العنيف الذي حمل على إخوانك العرب حملا وألجئوا إليه إلهاء لا خيار فيه ... وفي هذه الأزمة التي عقدتها الطمع وعجز عن حلها العالم الذي لم يعرف القناعة ... وفي هذه الظلمات المتركمة نتوجه إليك مخلصين بنصيحة تضمن استمرار السير وحفظ الاتجاه، نحن نعتقد أن ميدان

القتال بين العرب واليهود هو فلسطين، أما الجزائر وغيرها من بقية الأقطار العربية فهي ميادين شعور وعطف وأخوة وتضامن يشعر فيها العربي بمحنة أخيه في فلسطين ... ندعوكم ناصحين مخلصين إلى السكون والهدوء وضبط الأعصاب ... وقابلوا الاستفزاز بالصبر، وأن العقل نعم السلاح، وأن العقاب للصابرين»⁽²⁾.

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نائب رئيس الجمعية، فأكد على مكانة فلسطين عند العرب والمسلمين مُشيراً إلى حتمية مواجهة المشروع الصهيوني وضرورة الاتحاد نصرة لفلسطين معلناً: «... قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمايركم وهكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست تنال بالشعريات والخطايا وإنما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة...»⁽³⁾.

وتكريماً للصمود الفلسطيني نظمت الجمعية يوم فلسطين تلبية لنداء علماء الأزهر الشريف يومي 22 و 23 سبتمبر 1938م وقد لقي الجزائريون هذا النداء وجاءوا من كل ربوع الوطن⁽⁴⁾.

حين أعلنت جامعة الدول العربية يوم الحزن على فلسطين في 3 أكتوبر 1947م، خيم الحزن على الجزائريين وكان يوماً مشهوداً على الجزائر والأمة العربية والإسلامية، فقد توقفت فيه الموسيقى والألعاب في المقاهي الشعبية خاصة مدينة الجزائر، وتزامنا مع هذا اليوم الجليل ألقى الشيخ الطيب العقبي محاضرة بنادي الترقى تناول فيها القضية الفلسطينية أمام حشد غفير من المسلمين بعد صلاة الجمعة، وأرسل برقية مساندة لكل من عبد الرحمن عزام باشا (1893-1976م) الأمين العام لجامعة الدول العربية، والحاج أمين الحسيني (1895-1974م) رئيس المؤتمر الإسلامي في القدس، وفوزي القاوقجي (1890-1977م) قائد جيش الإنقاذ في حرب 1948م⁽⁵⁾.

ب/ الدعم السياسي:

لم تكتف جمعية العلماء المسلمين بالمحاضرات والدروس المسجدية والكتابات الصحفية حتى وإن لها منفعة في إثارة النفوس فقد لجأ علماءها إلى المساعدة السياسية، فقد كتبوا محتجين رافضين خطط التقسيم متصلين بالجهات الرسمية من أجل توحيد الجهود وتوفير الدعم المناسب لهذه القضية⁽⁶⁾.

شارك المسلمون الجزائريون في المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد في القدس سنة 1931م وقد مثل الجزائر في ذلك المؤتمر الشيخ إبراهيم أطفيش⁽⁷⁾، من أجل المحافظة على الأماكن المقدسة وتعزيز المواقف تجاه القضية، وبعد أن اقترح مشروع التقسيم الذي وقع الخبر كالصاعقة على نفوس المسلمين، ووصفته الجمعية بالمشروع الإجرامي والكارثي⁽⁸⁾.

أرسل الشيخ ابن باديس برقية إلى وزارة الخارجية الفرنسية في أوت 1937م يحمل احتجاجا شديد باسم الشعب الجزائري المسلم ومما جاء فيه: «باسم الأمة الإسلامية الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطين ذلك القطر العربي الذي ضمنت له العقود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله... (أدعو إلى) تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنع هذا التقسيم»⁽⁹⁾.

كما وجه خطابا آخر إلى وزير الخارجية الفرنسي يقول فيه: «باسم الأمة الجزائرية أرغب منكم أن تبلغوا جمعية الأمم احتجاجي الصارم ضد سياسة الحيف المستعملة ضد إخواننا المسلمين، وبالأخص تقسيم وطنهم الإسلامي العربي ... وبودي لو تنتهز فرنسا الفرصة ... بالتدخل لفائدة الشعب الفلسطيني لتحفظ ناموسها وتقوى نفوذها الأزلي في العالم الإسلامي المتعطش للعدل والإنصاف والذي يحسن الاعتراف بالجميل»⁽¹⁰⁾.

نشرت مجلة الشهاب مقالا يؤكد رفض الجماهير العربية في المغرب العربي لخطط بريطانيا لتقسيم فلسطين قائلة في رأي مفاده: «إن آخر اختراع أنتجته سياسية الإنجليز هو تجزئة فلسطين إلى ثلاثة أقسام: القسم الشرقي يضم إلى مملكة شرقي الأردن التي يتولى أمرها الملك عبد الله، وقسم غربي ويكون دولة يهودية، وقسم ثالث يبقى تحت الانتداب الإنجليزي...»⁽¹¹⁾ حيث أدانت موقف بريطانيا العنصري في فلسطين بعد أن ذكرت أن الإنجليز قد استخدموا طائرات وأسلحة ثقيلة ضد شعب ضعيف، معتبرة صدور الكتاب الأبيض الإنجليزي خلال الحرب العالمية الأولى بمثابة نكبة الفلسطينيين⁽¹²⁾.

كما أدى العلماء دورا بارزا في المؤتمرات التي عقدت في المشرق من أجل القضية الفلسطينية منها المؤتمر البرلماني الذي عقد بالقاهرة يوم 17 أكتوبر 1938م، للنظر في القضية الفلسطينية، حضره زعماء العرب والمسلمين في الأقطار العربية والإسلامية، ويذكر ابن باديس

أن هذا المؤتمر سيكون الأول من نوعه في الشرق والغرب وأن الصهيونية والاستعمار الإنجليزي سيجدان نفسيهما أمام العالمين الإسلامي والعربي لا أمام فلسطين وحدها، وبهذا يدعو جميع المسلمين لدعمه وفي نفس الوقت يدعو اليهود غير الصهيونيين لإبداء رفضهم للصهيونية⁽¹³⁾.

بالرغم من أن ابن باديس كان عازما على حضور المؤتمر ولكن ذلك لم يحدث، فاكتمى في أكتوبر سنة 1938م، بإرسال برقية يؤيد ويوافق مخرجات المؤتمر من أجل نصرة فلسطين⁽¹⁴⁾ وهذا نص البرقية: «باسم المسلمين الجزائريين نخي مؤتمرهم العظيم ونضم صوتنا إلى صوتكم ونوافق على ما يستقيم عليه رأيكم ونؤيدكم بكل ما نستطيع في سبيل فلسطين التي هي قضية الحق والإنسانية والسلام العام»⁽¹⁵⁾.

كما أعلنت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي⁽¹⁶⁾ رفضها تقسيم فلسطين سنة 1938م وناشدت فيه وزير الخارجية الفرنسي للتدخل في حل القضية الفلسطينية وجاء في هذه البرقية: «... ونطلب من وزير الخارجية الجمهورية الفرنسية أن يتفضل بالدخول في هذه القضية لدى الهيئات المسؤولة بجمعية الأمم، لكي يحافظ المسلمون الفلسطينيون على حالتهم السياسية وينشأ في بلاد فلسطين نظام برلماني يصل فيه سبيل الأخوة الصادقة بين المسلمين واليهود والمسيحيين ... ويطلب إعلان وقف الهجرة اليهودية لفلسطين..»⁽¹⁷⁾.

ونذكر موقف الشيخ الفضيل الورثاني الذي تحدث باسم جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر سنة 1940م، وذلك حينما رد على تقرير اللجنة الأمريكية البريطانية من خلال مذكرة أرسلها إلى جميع الدول العربية الإسلامية محتجا على التوصيات التي خرجت فيها اللجنة، معتبرا إياها انحيازاً إلى اليهود، ومنبها إلى عواقب تطبيقها عندما أكد في قوله: «... إن ثلاثين مليوناً من أخلص العرب في إفريقيا الشمالية يعدون فلسطين جزءاً من وطنهم العربي الكبير، بل يعدونها القلب من سائر الجوارح لما تنطوي عليه من المعاني المقدسة ... وإن جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر ترى في قرار اللجنة الإنجليزية الأمريكية سكوتا عن حقوق العرب في فلسطين...»⁽¹⁸⁾.

وتجدر الإشارة إلى تأسيس لجنة تنفيذية بالعاصمة انبثقت عن الهيئة العليا لإعانة فلسطين ضمت رجال العلم والثقافة ورجال الأعمال والمال والاقتصاد، وشرعت في إرسال برقية تأييد

لسعادة عزام باشا الأمين العام للجامعة الدول العربية بالقاهرة، وبيان احتجاج واستنكار للحكومة الفرنسية فحواها أن الشعب الجزائري أسس هيئة لإعانة فلسطين، كما يدعم تضامن وكفاح الدول العربية ويسانده⁽¹⁹⁾ ومما جاء في البرقية المذكورة «... نخططكم علما بتأسيس لجنة إعانة فلسطين من الهيئات والشخصيات الممثلة للشعب الجزائري المسلم وباسم هاته اللجنة نعبر لكم عن تضامن الشعب المسلم الجزائري مع الدول العربية في كفاحها ضد الاستعمار الصهيوني، ونتمنى النجاح في قضية العرب العادلة...»⁽²⁰⁾.

ج/ الدعم العسكري:

دعا الشيخ البشير الإبراهيمي الجامعة العربية لتكثيف الجهود وتجاوز الخطابات السياسية والمظاهرات والاستعداد للجهاد وجمع المال والرجال، رغم رعونة وضعف الحكام وتمسكهم بالسلطة وتبعيتها للغرب، قائلا: «أيها العرب إن الله تعالى قد امتحن إيمانكم وابتلى عزائمكم بمجاورتكم لفلسطين المسكينة فأجمعوا شملكم ووحّدوا صفوفكم ووفروا عددكم وأنقذوا جارتكم العربية من مخالب طرائد الدول وحثالات الشعوب وأنزلوهم العقاب، ولا تهابوا بقوات مجلس الأمن، فإنها أهون من أن تقف في سبيلكم وتصدكم عن تحقيق رغباتكم ... أيها العرب حققوا في اليهود وعبد الله فيهم في القرآن الكريم⁽²¹⁾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽²²⁾.

ورغم صعوبة الاتصال بين الجزائر وفلسطين بسبب فرض الفرنسيين والإنجليز قيودا على التنقل عبر طرابلس الغرب ومصر إلا أن التاريخ سجل لنا أسماء بعض الجزائريين ممن تطوعوا للجهاد في فلسطين منهم صالح مناح بن بشير ومحمود عيساوي⁽²³⁾، كما نذكر استجابة الكثير من الجزائريين خاصة من الطلبة لنداء الأستاذ محمد الصادق بسيس⁽²⁴⁾ الذي قاد حملة تطوع في هذا الاتجاه، وعبر الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشا عن شكره وامتنانه لما قام به المجاهدون الجزائريون وغيرهم في المعارك ومؤازرة الجيش العربي من تضحيات جسام في سبيل فلسطين وقدم لهم وسام فلسطين التذكاري⁽²⁵⁾.

وكان الشيخ الورثاني أكثر الناس حماسا للعمل الفدائي فقد فتح باب التطوع والتدريب على السلاح لمن يريد المساهمة في الكفاح من أبناء شمال إفريقيا، ودعا إلى تجنيد الشباب للتطوع من أجل الجهاد في فلسطين، وبالفعل فقد تطوع العديد من الجيوش العربية للكفاح في سبيل إنقاذ جزء من العالم العربي مهدد بخطر الصهيونية⁽²⁶⁾.

تمكنت الجمعية عن طريق الهيئة العليا لإغاثة فلسطين من تجنيد العشرات من المتطوعين وأرسلتهم إلى ساحة القتال، إذ بلغ عددهم في حرب فلسطين سنة 1948م، بين 220 و260 مجاهدا ضمتهم الكتيبة المغاربية الأولى بالنقب وبيت لحم، والكتيبة الثانية والثالثة بشمال غزة وبعض المتطوعين بجيش الجهاد المقدس الحسيني، ولا يدخل هذا الإحصاء المجاهدين الجزائريين القاطنين بفلسطين وسوريا والمقدر عددهم بالمئات وبقي عدد آخر ينتظر في مراكز التطوع في سوريا ومصر⁽²⁷⁾.

أما الأستاذ أحمد توفيق المدني فقد كتب عن الجهاد في فلسطين قائلا: «... على العرب عامة في مشارق الأرض ومغاربها أن يجاهدوا بالسيف والمال والقلم وأن يوالوا الجهود وأن يضاعفوا المجهود، فيهود الدنيا قاطبة يفعلون ولا يتكلمون...»⁽²⁸⁾، وهكذا تجند شباب الجزائر في صفوف الجيش العربي سنة 1948م، دفاعا عن فلسطين وسجلت أسمائهم من ذهب على صفحات الكفاح العربي⁽²⁹⁾.

د. الدعم المالي:

رغم الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر إلا أن ذلك لم يمنعها من المساهمة في الدعم المالي والمادي، عندما تكون القضية الفلسطينية في حاجة إلى ذلك، وهذا ما أثبتته جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي بادر إلى إنشاء لجنة لجمع التبرعات لفائدة فلسطين⁽³⁰⁾.

فعلى إثر الثورة الفلسطينية سنة 1936 م قام الشيخ ابن باديس بفتح اكتاب لجمع الأموال لصالح فلسطين وقدم طلبا إلى الولاية العامة بذلك، وعقد أول اجتماع لبعض أعضاء الجمعية في 18 جوان 1936م بنادي الاتحاد في قسنطينة، بهدف تكوين لجنة تتكفل بجمع

الأموال وإرسالها إلى الفلسطينيين، رغم منع الإدارة الاستعمارية ورفض الترسخ للاكتتاب إلا أن ذلك لم يمنع من المواصلة في عملية التبرع⁽³¹⁾، وتم عقد اجتماع ثان بعد يومين في 20 جوان 1936م تمخض عنه إنشاء اللجنة الدفاع خاصة بفلسطين أسندت رئاستها إلى الشيخ الطيب العقبي وكتابتها العامة إلى الأستاذ الأمين العمودي، وأمانة المال لمحمد بن باي وشارت عملها علنا عام 1938م، وتزامن ذلك مع نداء الجامعة العربية يومي 22 و 23 سبتمبر 1938م ليوم فلسطين في العالم، ولبي المسلمون هذا النداء في مختلف المدن⁽³²⁾.

غطت جريدة البصائر هذا الحدث ونشرت النداء⁽³³⁾، وتكونت لجنة إغاثة الشعب المسلم في فلسطين في شهر أوت من نفس السنة بعد أن تم توزيع قوائم الاكتتاب سرا بين أعضاء الجمعية والمتطوعين ثم توسيع مجال جمع أموال الإغاثة إلى كل المدن الجزائرية⁽³⁴⁾، كما أعطت الجمعية تعليماتها إلى الأستاذ الفضيل الورثاني بتمثيلها في باريس والأستاذ سعيد صالحى بمرسلياً لمساندة القضية الفلسطينية⁽³⁵⁾.

كما وجه الأستاذ الفضيل الورثاني نداء إلى كل من الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة وإلى الهيئات العربية الإسلامية، يدعو فيها إلى التعاون لجمع المال وإنقاذ فلسطين مؤكداً على أن اليهود لا يعتمدون في محاربتهم للعرب إلا على المال، داعياً بذلك إلى فتح اكتتاب عام يشترك فيه الغني والفقير والصغير والكبير⁽³⁶⁾، ومما ورد في ذلك النداء: «...أيها العرب الأجداد لعل من الخير أن نعلم جيداً أن ما نبذله في سبيل فلسطين العربية أقل بكثير مما يبذله خصومنا الصهيونيون، فمن أجل ذلك تأخر النصر الذي وعد الله به المظلومين، فلقد بذل الصهيونيون أموالاً طائلة في سبيل استبعادنا ولم نبذل في سبيل التحرير إلا الكلام»⁽³⁷⁾ ودعا الورثاني في هذا النداء أيضاً إلى إنشاء صندوق العروبة لجمع التبرعات لإنقاذ فلسطين قائلاً: «فلو جمع كل العرب منا جنياً واحداً، ثم استغنى عنه لصندوق العروبة مثلاً، وهو ما لا يعجز عنه أحد لتجمع لدينا ثمانون مليوناً من الجنيهات نستطيع أن نهد بها الجبال»⁽³⁸⁾.

كما قاموا بمبادرة شخصية في دعم حملات التبرع فوجد الشيخ عبد الحميد ابن باديس من خلال مقال نشره في الجريدة البصائر 1939م بمناسبة عيد الأضحى تحت عنوان في سبيل المنكوبين يقول: «إنّ القدس الشريف وشيوخا وعجائز ویتامی وأرامل وصبية ونساء، أمهكهم

المرض وأعوزهم القوت وفقدوا ربما المأوى والمقر، قتل رجالهم وخربت ديارهم وأحاط بهم البلاء من كل جانب، إلى هؤلاء نلفت كل المسلمين لمواساتهم في هذا العيد بجلود ضحاياهم في جمع ثمنها ويوجهها إليهم، يفعلون هذا مثل ما يفعله كل من في قلبه رحمه»⁽³⁹⁾، وفعلنا تم جمع ما يقارب 245000 فرنكا من المال العائد من جنود الأضحية، وتمت هذه العملية من قبل أمين لجنة الإغاثة منكوبي القدس الشريف بقسنطينة كرماني الحاج حموش وإرسالها إلى لجنة الإغاثة بمصر⁽⁴⁰⁾.

إضافة إلى هذا، ذكر حمزة بوكوشة⁽⁴¹⁾ أنه رأى الإبراهيمي ذات يوم اقترض مالا فما كان ذلك النصيب يدخل جيبه فجاءه من طلب منه الإعانة على السفر إلى تونس ليذهب ويحارب في فلسطين فدفع إليه أكثر المبلغ الذي اقترضه⁽⁴²⁾، وفي جريدة المغرب العربي كتبت عن الإبراهيمي أنه كان يتجول في عمالة قسنطينة ليجمع الزكاة والحبوب لفلسطين⁽⁴³⁾.

أدى الشيخ الإبراهيمي دورا كبيرا في دعم القضية الفلسطينية إذ نشر مقال بعنوان "إعانة فلسطين المنكوبة يقول: «إن إعانة فلسطين فريضة مؤكدة على كل عربي وعلى كل مسلم فمن قام به أدى ما عليه من حق عروبه وإسلامه، ومن لم يؤده فهو دين في ذمته»⁽⁴⁴⁾ ويذكر واجب العرب على فلسطين أنه يتألف من جزأين: المال والرجال فهي بحاجة إلى المال أكثر من الرجال يقول: «نستطيع أن نمد فلسطين بالمال فليعمل العاملون، ليقفوا جهودهم على ذلك... وليقم أهل الرأي والثقة بتكوين لجان مركزية في العواصم... ولتقم الأمة بواجبها ولتعلم أن الغالي في سبيل عروبة فلسطين، وأن صوم أسبوع في الشهر وادخار نفقاته مما يسهل على الفقير... وإن هجر الملاهي المبيدة للمال شهرا كاملا، ووقف مكان ينفق فيه على فلسطين...»⁽⁴⁵⁾.

كما قدم الشيخ الإبراهيمي في سبيل دعم القضية مكتبته الخاصة هبة لنصرة القضية يقول: «لكن لا أملك من هذه الدنيا مكتبة متواضعة هي كل ما يرث الوارث عني... وإني وضعتها خالصا مخلصا بكتبها وخزائنها تحت تصرف اللجنة التي تشكل لإمداد فلسطين ولا أستثني منها إلا نسخة من المصحف للتلاوة ونسخه من الصحيحين للدراسة»⁽⁴⁶⁾.

وقد كانت مقالات الشيخ الإبراهيمي الأكثر تأثيرا في نفوس المتبرعين، لأنها أثارت فيهم أحاسيس الأخوة الدينية، فقد كان يختار المناسبات الدينية إذ كتب مقال بمناسبة عيد الأضحى يقول: "... أيها العرب ... حرام أن تنعم وإخوانكم يؤساء وحرام أن تطمئن بكم المضاجع وأخوانكم يفترشون الغبراء" (47).

كما وجهت جريدة البصائر التي تعد لسان حال جمعية العلماء المسلمين نداء إلى المسلمين من أجل الوقوف مع أهلها كواجب مقدس مطالبة بلدان العالم الإسلامي التي لم تنشأ بها لجان لدعم المالي أن تبادر إلى إنشائها (48)، وفتحت صفحاتها لأقلام الفلسطينيين أنفسهم منهم "الحاج أمين الحسيني" مفتي القدس الشريفة، الذي رفع نداء إلى كل كريم في العالم الإسلامي موجهة للعرب والمسلمين في مقال بعنوان "شهداء فلسطين الدامية الشهيدة" فقال فيه: "تواجه فلسطين العربية أحداثا خطيرة أخذت تجر وراءها نكبات ومآسي على الشعب العربي الأبي الذي ضرب المثل الأعلى في التضحية عما وقعت في كل فلسطين ... فأصبحت المعونة المادية في والمواساة واجب كل عربي مسلم ... لذلك قررت اللجنة المركزية للإعلانات إعلان نداء التعاون لكل العالم الإسلامي لإخراج فلسطين من محنتها القاسية ونكبتها" (49).

ومع تطور القضية الفلسطينية ازداد وعي واهتمام رجال الإصلاح فحولوا لجنة الدفاع للإغاثة الفلسطينية إلى هيئة أوسع سميت الهيئة العليا لإغاثة فلسطين شاركت فيها الحركة الوطنية بكل أطرافها فدعا الشيخ الطيب العقبي إلى اتحاد الأحزاب لأن العمل الجماعي في نظره هو القوة الناجحة لدعم القضية، وتكون هذه الأخيرة سببا في جمع ما تشتت من الأحزاب، فقام رفقة الإبراهيمي بإقناع رئيس حركة أحباب البيان والحرية (فرحات عباس) (50) وتقرر إنشاء الهيئة العليا لإغاثة فلسطين بعد عدة اجتماعات في 14 جوان 1948م والتي ضمت كل من البشير الإبراهيمي رئيس الهيئة العليا لإغاثة فلسطين والطيب العقبي أمينا للمال وإبراهيم بيوض نائبا للرئيس وفرحات عباس كاتبا عاما (51)، وأرسلت هذه الهيئة برقية إلى الحكومة الفرنسية التي كانت قد اعترفت بدولة الاحتلال، واعتبرته تحداً ضد مسلمي الشمال الإفريقي المتضامن مع فلسطين (52)، وكذا برقية أرسلتها إلى جامعة الدول العربية تبرر تضامنها الدائم لمكافحة الصهيونية متهمة الأمم المتحدة بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية والتناقض مع ميثاقها وتهديد السلام العالمي (53).

تمكنت الهيئة العليا لإغاثة فلسطين في فترة وجيزة أن تجمع ثمانية ملايين فرنكا، كتبرعات من الشعب الجزائري الذي لبي النداء وساند فلسطين، وحسب تعبير الإبراهيمي فإن المبالغ المالية قد أوصلوها إلى مأمئها في فلسطين واستلموا الشهادة القاطعة من أصولها ورفعوا رأس الجزائر، وقد وصلت هذه الأموال عن طريق العقبي الذي استعان في إيصالها بالجامعة العربية⁽⁵⁴⁾.

وفي إطار دعم القضية الفلسطينية أقدم مجموعة من العلماء إلى زيارة المشرق مباشرة وتفقد أوقاف المغاربة بالقدس، وقد قام الشيخ العقبي رفقة عباس التركي⁽⁵⁵⁾ وابن حورة⁽⁵⁶⁾ بزيارة أرض فلسطين وتفقد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين للتضامن معهم والتخفيف من معاناتهم رغم عسر الحال وصعوبة الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة⁽⁵⁷⁾.

خاتمة:

كانت الحركة الإصلاحية الجزائرية التي مثلها علماء جمعية العلماء المسلمين من الأوائل الذين نبهوا إلى الخطر الصهيوني عن طريق الكتابات الصحفية ودعموا فلسطين معنويا، ونذكر من بين تلك الصحف جريدة ذو الفقار لعمر راسم، جريدتي الشهاب والبصائر وصحيفة الإصلاح للشيخ الطيب العقبي في دعم القضية الفلسطينية والوقوف إلى جانب الفلسطينيين في ساعة العسرة، ودعوة كل العرب عامة والجزائر خاصة للمساهمة في تقديم يد العون لإنشاء لجنة الدفاع عن الفلسطينيين وجمع التبرعات والاحتجاجات وإرسال المتطوعين إلى الأراضي الفلسطينية للمشاركة في الثورة الفلسطينية وفي الحروب العربية ضد اليهود ومن الأهم في مراحل لاحقة لأن الدفاع عنها فرض على كل مسلم.

الهوامش والإحالات

(1)- مسعود فلوسي، الإمام عبد الحميد بن باديس: لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده دار قرطبة، ط1، ص ص، 39-40.

(2)- الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1997م. ج2، ص 204.

(3)- محمد دراج، مواقف الإمام الإبراهيمي في المشرق العربي، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2009م، ص 13.

- (4) - يوسف مناصرية، النشاط الصهيوني في الجزائر (1897-1962م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2009م، ص ص 278-279.
- (5) - مناصرية، المرجع السابق، ص ص، 307، 308، وينظر: مريوش، المرجع السابق، ص 413.
- (6) - حمود بيرير، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والقضية الفلسطينية (1931-1939م)، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 31، ع 1، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2022م، ص 152.
- (7) - إبراهيم أطفيش: عالم إباضي وأديب من كبار العاملين في سبيل وحدة المسلمين، ولد في قرية بني يزقن بوادي ميزاب، انتقل سنة 1914م إلى تونس فدرس بجامع الزيتونة وشارك في حركتها الوطنية بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي، نفته فرنسا بعدها إلى القاهرة سنة 1923م، كان ممثلاً لدولة عمان في جامعة الدول العربية، له مقالات سياسية واجتماعية نشرت في صحف ومجلات مصرية، توفي بالقاهرة، ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، المرجع السابق، ص 19.
- (8) - مناصرية، المرجع السابق، ص ص 276 - 278.
- (9) - عبد الحميد ابن باديس، احتجاج جمعية العلماء المسلمين على تقسيم فلسطين، جريدة البصائر الجزائر، ع79، السنة الثانية، 20 أوت 1937م، ص 234.
- (10) - عمار طالي: آثار ابن باديس، ج6، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 2005م، ص 209.
- (11) - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 435.
- (12) - بيرير، المرجع السابق، ص 153.
- (13) - عبد الحميد بن باديس، نصوص مختارة، جمعها وعلق عليها محمد قورصو، منشورات ANEP الجزائر، 2010م، ص 157.
- (14) - مازن مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931، 1939م)، ص128
- (15) - عبد الحميد ابن باديس، برقية ج. ع. م. ج إلى المؤتمر البرلماني من أجل فلسطين، البصائر، عدد 135، (1937-1938م)، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 2005م، ص 373.
- (16) - تألفت اللجنة من سعيد رمضان، والسيد قطب (مصر)، محي الدين القليبي (تونس)، الفضيل الورتلاني (الجزائر)، محمد محمود الصواف (العراق) إضافة إلى كمال الشريف ومحمد خليفة.
- (17) - البصائر، اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي المنعقد يوم 29 أوت 1938م، جريدة البصائر، عدد 80 السنة الثانية، السلسلة الأولى، 26 جمادي الثاني 1356هـ، 3 سبتمبر 1937م، ص 8.
- (18) - المرجع نفسه، ص ص 335 - 336.
- (19) - الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج1، المرجع السابق، ص 211.

- (20) - البصائر، بلاغ من الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، ع41، السنة الثانية، الإثنين 20 شعبان 1362هـ. 20 جوان 1958م، ص 6.
- (21) - فرحات الدراجي، أيها العرب أنقذوا بلادكم، البصائر، ع17 (25 جويلية 1948)، ص134-135.
- (22) - سورة الأعراف، الآية 167.
- (23) - مناصرة، مرجع سابق، ص 310.
- (24) - محمد الصادق بسيس (1814، 1978م): صحفي تونسي كاتباً وخطيباً من المناضلين الذين كرسوا جهودهم في مقاومة الاستعمار وذلك بجهودهم في جمعية العلماء المسلمين وتونس الفتاة، ومن أسبق التونسيين عناية بالقضية الفلسطينية، إذ جعلها طليعة اهتمامه بالقضايا العربية الإسلامية، تولى رئاسة لجنة الدفاع عن فلسطين العربية. ينظر: السعدي أبو زيان، محمد الصادق بسيس، حياته وآثاره، وزارة الثقافة، المركز الوطني للاتصال الثقافي، تونس 2002م، ص ص 47 - 54.
- (25) - مناصرة، المرجع السابق، ص ص 309 - 310.
- (26) - الورثاني، المصدر السابق، ص ص 328 - 329.
- (27) - أحمد شنتي، الجزائر والقضية الفلسطينية... صفحات من الجهاد المشترك، مجلة الدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع13، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة تبسة 2015م، ص 14.
- (28) - أحمد توفيق المدني، منبر السياسة العالمية، البصائر، عدد 8، السنة الثانية، 7 جوان 1948م، ص 4.
- (29) - يوسف مناصرة، علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأقطار المشرق العربي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع14، قسم التاريخ، جامعة باتنة (جوان 2006م)، ص 19.
- (30) - بن يغرز أحمد، الجزائريين والقضية الفلسطينية (1920. 1954م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية مج 7، عدد 3، الجزائر 2019م، ص 85.
- (31) - مناصرة، النشاط الصهيوني في الجزائر (1897 1962م)، ص 276.
- (32) - أحمد مريوش، القضية الفلسطينية في اهتمامات الطيب العقبي، مجلة الدراسات التاريخية، ع9، قسم التاريخ، الجزائر 1995م، ص 243.
- (33) - مناصرة، المرجع السابق، ص 279.
- (34) - حمود يرير، المرجع السابق، ص 154.
- (35) - بن يغرز أحمد، المرجع السابق، ص 86.
- (36) - الورثاني، المصدر السابق، ص ص 301 - 302.
- (37) - المرجع نفسه، ص 263.
- (38) - المرجع نفسه، ص 263.

- (39) - عبد الحميد ابن باديس، في سبيل المنكوبين، البصائر، السنة الرابعة، ع2، جوان 1936م، ص 199.
- (40) - عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره، ج3، المرجع السابق، ص ص، 478 - 479.
- (41) - حمزة بوكوشة (1907 - 1994م): شاعر وكاتب وصحفي ومصلح، من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أشرف على تحرير جريدة المغرب العربي عام 1938م، وعضوا في المجلس الإداري للجمعية، أوفدته الجمعية إلى فرنسا للعمل ضمن بعثتها بباريس، شغل منصب أمين عام الجمعية عام 1944م، ثم مراقبا عاما في أجهزتها عام 1947م، وعضوا في هيئة التحرير البصائر، اشتغل بعد استعادة السيادة الوطنية كمصرف بوزارة الأوقاف، ثم أستاذا للتعليم الثانوي، نال شهادة ليسانس سنة 1971م، اشتغل بالمحاماة (1980-1988م) ينظر: حكيم سليمان، الشيخ محمد بوكوشة، ديوان الخواطر من الصبا والشباب والكهولة والمشيب، حوليات الآداب واللغات الدولية، مع 7، ع 13 كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة 2019م، ص ص 183-184.
- (42) - الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي، ج2، المصدر السابق، ص 32.
- (43) - المرجع نفسه، ص 240.
- (44) - محمد البشير الإبراهيمي، الهيئة العليا للإغاثة فلسطين، البصائر، ع40، 21 جوان 1948، ص 318
- (45) - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، دار الغرب الإسلامي بيروت 1997م، ص 459، ينظر أيضا: محمد زومان، معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، منشورات جامعة باتنة، ص 168.
- (46) - أحمد شنتي، المرجع السابق، ص 46.
- (47) - محمد البشير الإبراهيمي، عيد الأضحى وفلسطين، البصائر، عدد 53، أكتوبر 1948م، ص 66
- (48) - البصائر، فلسطين، يستنجد بالمسلمين، عدد 45، 27 نوفمبر 1936م، ص 362.
- (49) - محمد أمين الحسيني، من فلسطين الدامية الشهيدة نداء إلى كل كريم في العالم الإسلامي، البصائر عدد 24، السنة الأولى 1355هـ/ 1937م، ص 195.
- (50) - الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي، ج2، المصدر السابق، ص ص 257-258 .
- (51) - البشير الإبراهيمي، الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، البصائر، عدد 41، السنة الثانية، الجزائر (أكتوبر 1948م)، ص 318.
- (52) - المدني، حياة كفاح، ج 2، ص ص 539-540.
- (53) - الإبراهيمي، الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، البصائر، عدد 42، أكتوبر 1948م، ص 330.
- (54) - الإبراهيمي، المصدر نفسه، ص 382.

- (55) - عباس التركي: من أعيان الجزائر خلال فترة الاحتلال، عرف بتجارته وغناه، اعتقلته السلطات الفرنسية سنة 1936م مع الطيب العقبي بتهمة التآمر على اغتيال المفتي محمود كحول، ينظر: أحمد شنتي، المرجع السابق، ص 88.
- (56) - ابن حورة: كان قاضيا وعضوا في الجمعية الخيرية والأوقاف الإسلامية التابعة لإدارة الشؤون الإسلامية الأهلية الفرنسية بالجزائر، كما كان كاتباً لدار الصدقة التي كانت تحتّم بفقراء المسلمين، وفي أيام الثورة الجزائرية التجأ إلى فرنسا ومات بها ينظر: المرجع نفسه، ص 88.
- (57) - أحمد شنتي، المرجع السابق، ص 14، ينظر: حميدي أبو بكر الصديق، دراسات وأعلام في الحركة الإصلاحية الجزائرية، دار المتعلم للنشر والتوزيع، الجزائر 2015م، ص 173.